الكتاب الإسبان المعاصرون والثقافة العربية

تأليف: أبو القاسم درارجة

جامعة الجزائر

الكتاب الأسبان المعاصرون والثقافة العربية

أبو القاسم درارجة

جامعة الجزائر

منذ أن أخرج العرب مرغمين من آخر معقل بالأندلس - غرناطة - والكتاب الأسبان يكتبون عن ذلك الوجود العربي والحضارة التي أقاموها على أرض شبه جزيرة إبيريا لمدة ثمانية قرون، ويرى بعضهم أن المد الحضاري لم ينته بانتهاء الحكم العربي الإسلامي بل بقيت آثاره وتأثيره في كل ما يتعلق بالحياة ونوه الكتاب الاسبان بهذه الحضارة جيلا بعد جيل، وهو في نظرنا شيء طبيعي بالنسبة لأي مثقف أقيمت حضارة عتيدة على أرضه، وهو يعتبر نفسه طرفا أو شريكا في إقامتها، ويرى أن تاريخ الأدب والزراعة والسقي والطب والعلوم والفن المعماري ازدهر في عهد الحكم العربي الإسلامي الذي تميز بالتسامح والعدل في أغلب الحقب، وأن الشعب الاسباني عامة والمثقف على وجه الخصوص يعتبرون ما تركه العرب في شبه جزيرتهم إرثا مشتركا، ولربما ذهب بعضهم إلى أنه أندلسي محض، ولهذا نراهم يحاولون نفض الغبار عن تاريخ وفنون تلك الفترة الزمنية ونفي الشكوك التي كانت تحوم حول هذه الحضارة في وقت ما، ونرى اليوم أكثر من أي وقت مضى الكتاب الاسبان على اختلاف اختصاصاتهم وأعمارهم أيضا يحاولون ربط الأواصر والتعاون مع العالم العربي، لكن العرب مازالوا مشتتين ومتنافرين مثل سياسة حكوماتهم فكل من ينتمي إلى دويلة يريد أن يتقمص شخصية البطل ..

فراح البعض يزيف الحقائق والبعض الآخر يشكك في شخصيات لعبت دورا هاما في الميدان الثقافي ومنهم من يتهم أعلام المغرب بالسرقة دون أن يقدم حججا دامغة تثبت أو على الأقل تقنع القارئ لما يدعيه وغيرهما من التهم والشكوك التي تبثها بعض العناصر ذات الثقافة المستوردة، وهناك ما هو أخطر من ذلك حيث نرى البعض ينفي وجود هذه الحضارة ويتنكر لكل ما هو عربي ويبث السموم في أذهان الأجيال الصاعدة حيث يجعل كل الحكم العرب الإسلامي فتنا وحروبا أهلية، والبعض الأخر يريد أن يشرك الجالية اليهودية التي عاشت تحت ظل دولة إسلامية مبدأها التسامح.

هذا التفكك والتشتت الذي أصاب العرب جعل التعاون مع الأسبان صعبا، لأنهم يتعاملون مع كتل تختلف في الاتجاهات والثقافات، ورغم ذلك فإن الكتاب الأسبان يحاولون دائما أن يكون التعامل مع العرب، لامع قيس عيلان ولا مع قحطان، ولامع صنهاجة أو مصمودة أو زناتة، بل أن هذه القبائل في نظرهم شاركت كلها في بناء تلك الحضارة تحت لواء عقيدة تدعى الإسلام وهوية تدعى العرب متسامحة مع العناصر المسيحية والاقلية اليهودية. وقبل أن أتطرق إلى صلب الموضوع بودي أن أشير إلى شيء يهم القارئ هو أن بعض العناصر العربية - من المشرق والمغرب - ذات الثقافة المستوردة استعملت كأبواق .. تكتب عن الأندلس والأندلسيين بلغات أجنبية وتشوه عن قصد أو غير قصد أسماء الحواضر والمعالم التاريخية والأثرية بدعوة البحث العلمي، وراحت تفرض نفسها في المؤتمرات التي تقيمها المؤسسات الثقافية تبث الشكوك وتنعت العنصر العربي بأشر النعوت، وتصف سكان المغرب بالجهل للغة العربية وتشكك في هوياتهم، وتتقدم نيابة عنهم في المحافل الدولية، تارة تحت ذريعة الانسانية وأخرى تحت ذريعة الحداثة والعلمانية مما جعل بعض مثقفي اسبانيا يعتقدون بأن المغاربة عامة والجزائريين على وجهه الخصوص لا يكتبون باللغة العربية، فانجر بعض الكتاب الاسبان إلى هذا الاتجاه فراحوا يجمعون القصاصات ويكتبون عن الأدب الجزائري

الذي كتبه أناس لا يحملون من الجزائر إلا الاسم وحتى هذا الأخير يكتبونه ويلفظونه مشوها ويعتزون بذلك...

وهنا أطرح سؤالا على نفسي قبل أن أطرحه على غيري، هل كل الكتاب الاسبان انجروا وراء هذه المغالطات؟ أقول لا، بل هم واعون بما يحاك ضد العرب والعربية عامة وضد الجزائر خاصة، وحتى ضد الحضارة الأندلسية ذاتها، حيث أنهم قرؤوا وسمعوا عن أناس يحضرون رسائل عن ابن الجيّاب وابن زمرق وابن الخطيب في بلد لا علاقة له بهذه الحضارة لا لغة ولا أثارا توجد به ولا يحضرون هذه الرسائل في البلدان العربية أو الاسبانية لأن هذه الأخيرة يوجد بها من الآثار والكتابات على الجدران التي تجعل البحث ميدانيا بالإضافة إلى المخطوطات التي تزخر بها مكتباتها مثل الأسكوريال والمكتبة الوطنية والكتدرائيات والأديرة وذاكرة الشعب لهذه الأسباب نهض الكتاب الاسبان ليكتبوا عن الأدباء الجزائريين المعبرين باللغة العربية، فأنجزوا رسائل جامعية ونشروا مقالات علمية وترجموا ويترجمون أشعارا وقصصا وروايات الشباب الجزائري المعبر بلغته وخاصة خرّجي جامعة غرناطة وهم مشكورون عن ذلك، كما أنهم نوّهوا بمساعدة بعض العناصر التي تعتز بعروبتها وتحب لغتها، لكن الذين كتبوا عن الأدب الجزائري لم يتطرقوا إلى شعراء المقاومة أثناء العهد الإستعماري البغيض، فجاء الأستاذ القدير «فرناندو اغريده بوريّو» ليزيح الستار عن ثلاثة شعراء مخضرمين، فبدأ برائد الشعر محمد العيد آل خليفة واعتبره أبا المدرسة الشعرية الجزائرية الثورية تحت عنوان «بحث حول الكتاب الجزائريين ENCUESTA A LOS ESCRITORES ARGELINOS» وأبي القاسم خمار، ثم محمد الأخضر بن عبد القادر السائحي، فنوه بأعمالهم، وتتبع خطواتهم وخاصة الشيخ محمد العيد آل خليفة رحمه الله. منذ نشأته حتى وفاته تحت عنوان فرعي «ثلاثة شعراء جزائريين يعبرون باللغة العربية، محمد العيد آل خليفة وأبو القاسم خمار ومحمد الأخضر بن عبد القادر السائحي.

يقول الأستاذ «أغريدة» أن الفهارس التي انجزت في السنوات الأخيرة تظهر بوضوح مساهمة الاسبان المستعربين في الكتابة عن الأدب العربي المعاصر، إن هذه المساهمة كثيرة ومتنوعة وأن القارئ يستطيع أن يتصفح هذه الكتب ويلم بكل التفاصيل حتى يعرف ما مدى أهمية هذه الأعمال ومن بين الأساتذة الذين كتبوا عن الأدب الجزائري أساتذة الأدب العربي «كارمن غومث كماريرو» التي ترأست فرقة البحث بالتنسيق مع الأستاذ «مرثدس دي الأمو» وقامت بنشره جامعة غرناطة سنة 1974م تحت عنوان: «أبحاث حول الكتاب الجزائريين» ..

ويضيف الأستاذ اغريدة قائلا: أما أنا فقد بدأت بجمع أعمال بعض الأدباء المغاربة سنة 1974م، ونشرت في مجلة المنارة ALMENARA الصادرة بين سنتي 1974-1971م وأعيد نشر هذا البحث في العدد الثاني من «دفاتر الحلقات الأدبية والفكرية العربية» التي يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة القديم، وفي تلك الحقبة الزمنية كانت تراودني فكرة توسيع هذا العمل ليشمل الكتاب الجزائريين، وبهذا أكون قد أجبت عن اختياري الكتاب الجزائريين الثلاثة المعبرين باللغة العربية السالفي الذكر، ومنذ ذلك العهد لم أتمكن من انجاز هذا العمل لظروف قاهرة حتى اليوم.

أعتقد ومن ناحية أخرى رغم مرور الزمن بأن شهادات الكتاب الثلاثة تمكنني من توسيع البحث، وإن كان يبدو للبعض أنه مختصر، فبالنسبة للتعريف بالأدب الجزائري المعاصر يعود الفضل إلى الأستاذ «بدرومارتينث مونتابث» الذي ناقش وكتب عن الأدباء الجزائريين، لكن هناك أمل في الكتابة عن هذا الموضوع الحساس الذي هو الأدب الجزائري عامة والمكتوب باللغة العربية على وجه الخصوص(1) وأريد فقط أن أضيف كلمات اعتراف بأنني أثناء إنجاز هذا العمل قد تلقيت تفهما وتعاونا من الأساتذة الأفاضل الذين تقبلوا طلباتي ولبوا رغبتي، وهم قبل كل شيء أصدقائي منهم السيدة الزهرة معطاوي، وعبد الرحمن رزاقي وبالأخص الأستاذ بدرو مارتنث مونتابث

الذي وفر لي كل ماله صلة بالموضوع هو جدير بالاحترام والتقدير الذي كان دائما يشجعني ويقدم لي كل ما أحتاجه من مادة لأقدم عملا مثل هذا، وأيضا الأستاذ الفاضل محمود صبح الصديق القديم لأبي القاسم خمار، كما أشكر السيد عبد المجيد صنعه الملحق الثقافي بسفارة الجمهورية الجزائرية وأشكر الأستاذ الدكتور أبا القاسم درارجة الذي زودني بمعلومات قيمة ساعدتني على إنجاز هذا العمل.

يتناول هذا العمل:

1 - معلومات خاصة بكل شاعر.

- إسمه ولقبه ومعلومات خاصة به.

2 - الحركة الأدبية داخل عائلة الشاعر.

3 - دراسته والأماكن التي درس بها.

4 - مهنة كل شاعر وهل يعتبر بأن الأدب وسيلة كافية للعيش؟

5 - الكتب التي قرأها والأسفار التي قام بها كل واحد منهم، وما هي الكتب المختارة أو المفضلة لكل واحد، والبلدان التي زاروها؟

6 - ما هي اللغات التي يحسنونها؟

ب - النشاطات الثقافية التي قام بها كل واحد:

7 - ما هي الآداب المحبذة، وما هو النوع الأدبي الذي يمارسونه؟

8 - ما هي اللغة التي يستعملها عند الكتابة العربية الفصحى، أم العامية المحلية؟

9 - هل كانت له علاقة بآداب أخرى عامة والاسباني على وجه الخصوص؟

10 - هل تعتقد في استمرار الذين يكتبون بلغتين؟

ج - موضوعات أدبية عامة:

11 - هل يوجد تباين واضح بين المقطوعة الشعرية والقصائد الطوال؟ مثل ما هو موجود في الآداب الأوروبية متى بدأ ذلك وأين؟

12 - ما هي وجهة نظرك حول جمهور القراء الجزائريين؟ ما هي اتجاهاته الأدبية، أظهر أفضلية الكتاب الجزائريين؟

13 - ما هي وجهة نظرك تجاه الكتاب الحاليين وما هي المشكلات التي تعترضهم؟

14 - هل تعتبر أن دور النشر في الجزائر يقوم بنشاطات هامة؟

15 - هل أنت واثق بأنك تجد حلا يفرق بين العربية الفصحى والعامية؟

16 - هل توجد لغة واحدة لكل العرب؟ ما هي الحلول التي تقدمها هذه النظرية؟

بعد طرحه لهذه الأسئلة على كل شاعر يعطينا ردهم واحد تلو الآخر أولهم الشيخ محمد العيد آل خليفة.

الأجوبة:

1 - الشيخ محمد العيد آل خليفة ولدت في شهر أوت من سنة 1904م بعين البيضاء.

2 - لا يوجد بين أفراد عائلتي من هو متضلع في الأدب ما عدا عمتي التي كانت من أكبر الحافظات للشعر الملحون.

3 - لقد واصلت تعليمي في المؤسسات الحرة بعين البيضاء حتى سنة 1918 ثم التحقت ببسكرة حتى سنة 1921م وبعدها انتقلت إلى جامع الزيتونة حيث زاولت

دراستي إلى سنة 1923م.

4 - الآن لا أزاول أي عمل، لقد تجاوزت الستين عاما من عمري فإنني أشغل نفسي في أمور أضيع بها وقتي، لأنني منزو في منزلي وفي نظري أن الأدب بأتم معنى الكلمة أنه ليس وسيلة تضمن العيش.

5 - دائما أشعر برغبة ملحة للمطالعة، وقد كان الجزء الأكبر من حياتي قضيته في الدراسة والأبحاث وبالتحديد في الاجتماعيات والأدبيات سواء شعرا كان أم نثرا ... أما اليوم فقد تركتهما من أجل أن أقضي حياة هادئة تسمح لي بأن أتجه إلى التعبد إلى الله سبحانه وتعالى.

أما بالنسبة للبلدان التي زرتها، تأتي تونس في المقدمة، لقد مكثت من سنة 1921 إلى سنة 1923م وكان ذلك من أجل الدراسة بجامع الزيتونة وقمت بزيارة إلى المغرب الأقصى كسائح سنة 1926م وقد مكثت مدة زمنية بمدينة فاس وكان لي الحظ أن ألتقي ببعض علمائها وأدبائها، كما استطعت أن أقتني الكثير من الكتب الأدبية، وآخر سفر لي خارج الوطن كان في سنة 1966م حيث زرت عدة دول شرقية، وكان سفري عن طريق البحر.

6 - لا أتقن أي لغة ما عدا العربية.

ب - نشاطات أدبية شخصية:

7 - قبل كل شيء كنت قد اتجهت إلى الشعر وبعد أنجزت أعمالا أخرى لها علاقة بالاجتماعيات.

8 - دون شك أنني أفضل اللغة العربية الفصحى في كتاباتي ولم أحاول قط أن أكتب بالعامية، لأن اللغة العربية الفصحى هي الوسيلة الوحيدة التي أدت بالثقافة العربية إلى الإزدهار، ولأن للّغة الفصحى صلة بتراثنا قديمه وحديثه.

9 - بالنسبة للآداب الغربية أبحث عنها بنفس الطريقة، أي عن طريق ترجمتها إلى العربية، لأنني كما سبق وأن قلت لا أحسن اللغات الأجنبية. أعرف الآداب الأسبانية القديمة، معنى ذلك الأدب الأندلسي الذي أعشقه ودراستي له منذ عهد الطفولة، أما بالنسبة للأدب الأسباني الحديث المكتوب باللغة الأسبانية فإنني قرأت بعض الموضوعات التي ترجمت إلى العربية ونشرت في الجزائد و المجلات.

10 - أظن أن معرفة اللغات مهم، ويبدو لي أن معرفة اللغات تسمح للأشخاص بتوسيع معارفهم وتنشيط تفكيرهم .. وأنا أحب الكتاب الذين يحسنون أكثر من لغتين لأن الكاتب الذي يحسن عدة لغات يستطيع أن يبلغ أفكاره ومعارفه وعواطفه أيضا ويعبر عما تعانيه جماهير واسعة.

ج - موضوعات أدبية عامة:

11 - في نظري يوجد اختلاف بيّن وواضح في الوقت نفسه بين القصة القصيرة والقصة الطويلة في الأدب العربي، فالأولى تسمى عندنا حكاية التي هي قصيرة جدا، كذلك توجد الأقصوصة وهي أطول من الأولى، فهي تبدأ بموضوع واسع ومتسلسل ومتعدد الأحداث التي حدثت في وقت واحد وفي مكان واحد أيضا، وهناك الرواية التي هي مشابهة للسابقة تشمل موضوعا عاما وواسعا يتوسطها حادث، أو ما نسميه بالعقدة لها علاقة بالأحداث السابقة، وتأخذ أيضا مظهرا من الحياة المعيشة بحيث نرى الجمهور الكبير يتحرك في فضاء واسع وزمان طويل، فالزمن يمكن تحديده من الثلاثينات من هذا القرن تقريبا.

12 - أما بالنسبة للقارئ الجزائري فهو متميز بالنسبة للقراء عموما، فنجد من هو يحبّذ السياسة، أي الموضوعات السياسية والاجتماعية ولا نجد إلا القليل الذين يحبذون جميع الأنواع الأدبية، فالقارئ الجزائري عامة يميل إلى النشاطات التحريرية،

والموضوعات التي تعبر عن معاناة الشعوب وكفاحها ضد الهيمنة، والروايات التي تتناول البطولات سواء كانت نثرا أم شعرا، كما يميلون إلى الموضوعات الغرامية والوصفية، لكن كما ذكرت آنفا أن موضوعات الحرية تستقطب القراء أكثر. ان شعبنا يعشق انتاج كل الكتاب لكنه يرفض التميز العنصري، أو بعبارة أخرى فهو يقرأ لكل الكتاب لكنه يقرأ بروح نقدية.

13 - ان الكتاب العرب قد كانوا مضطهدين مراقبين، عاشوا عيشة صعبة من جميع النواحي، ورغم ذلك قد أنجزوا الكثير من الأعمال ذات القيمة المعتبرة وقدموها إلى قرّائهم وبذلك فإن بلادنا ربحت كثيرا وقد تحسنت أوضاعنا الآن ... بالنسبة للمشكلات التي يعاني منها الكتاب الجزائريون عدم الاسقرار سواء من الفوضى والتشويش الذي سبّبه الاختلاف في النزعة السياسية الأديولوجية التي يريد البعض من ورائها التشكيك في كل شيء، ثم أن المدارس أصبحت لا تستوعب كل الشباب، وأيضا وهو الأهم رفض دور النشر أعمال الكتاب وهي عرقلة من ورائها أغراض.

14 - فبعض البلدان العربية مثل لبنان ومصر تقوم دور النشر بها بنشاطات كثيرة حيث تنشر الأفكار والثقافة في العالم العربي لكنها لم تقم بترجمة آداب ومعارف الغرب إلى العربية وإن كانت فهي قليلة جدا إذا قورنت بدور النشر في أوروبا مثلا، حتى من حيث الاخراج تبدو رديئة.

15 - الفرق بين الفصحى والعامية واضح، فالأولى أداة اتصال لكل الشعوب الناطقة بالعربية، والثانية محلية قاصرة عن التعبير ومحدودة القراء لكن هذه المشكلة تبدو تافهة غير أننا يجب أن نجد لها حلولا.

إن اقتراحي الأول يعني استعمال السكون في آخر الكلمة - مثل بني ربيعة - وهي حالة عادية عند المذيعين والخطباء، وإن كان هذا الأسلوب يبدو لي عيوبه في النحو

العربي الذي هو القاعدة، ولذلك أن رأيي هو استعمال اللغة العربية الفصحى بكل قواعدها لعزل اللغة العامية عنها، كما اقترح استعمال المفردات المبسطة السهلة عند العامة، وبهذا نستطيع رفع مستوى الحوار والمحادثة، وبعد فترة قليلة من الزمن نجني الثمار المحبّبة.

16 - حضرتك تتكلم عن الامكانيات، وأنا أعتقد أن الامكانيات موجودة وهي تكمن في وجود اللغة العربية الخالصة وأن استعمالها في كل العالم العربي، وأن هذا الهدف سيكون سهلا إذا قررت كل حكومة تطبيقه وتوسيعه في كل مجالات الحياة. وبالأخص في ميدان الاعلام وفي هذا الغرض سألقي بيتا من شعري «عودة الحجاج»

إذا فضلوا اللغة الفصحى على عاميتهم،

سيعودون إلى حضنهم مثل الأولاد المبذّرين(2)

(ما كانوا عليه أيام الانحطاط)

إن العرب يستطيعون أن يتفاهموا في أي مكان كانوا وفي أي مناسبة إن هم استعملوا اللغة الفصحى، لأنها اللغة الوحيدة التي يمتد استعمالها من الخليج إلى المحيط. وإن هذا هو الواقع والحقيقة.

هذه هي الأسئلة التي طرحها الأستاذ أغريدة "AGREDA" على الشيخ محمد العيد آل خليفة - رحمه الله - وأجاب عنها بكل وضوح وشفافية مدعما قوله بالحجج الدامغة والأدلة القاطعة.

بعد الشيخ محمد العيد تناول أبا القاسم خمار، فطرح عليه نفس الأسئلة التي طرحها من قبل.

معلومات شخصية:

1 - محمد أبو القاسم خمار ولدت ببسكرة في 6 أفريل 1931م

2 - والدي وأجدادي كانوا كلهم علماء، معنى ذلك علماء في المسائل الدينية والشريعة الإسلامية، على الطريقة الصوفية، وأن عمي بلقاسم خمار الذي توفي سنة 1956م كتب شعرا بالعربية والفرنسية وإن كان هذا الإنتاج لم ينشر. ولي أيضا من العائلة عبد الله خمار وهو شاعر جيد.

3 - درست ببسكرة وقسنطينة وتونس، وحلب ودمشق وحصلت على شهادة ليسانس في الفلسفة وعلم النفس من جامعة دمشق سنة 1965م

4 - أعمل مستشارا فنيا في وزارة الشباب والرياضة بالجزائر وأن الكاتب يستطيع أن يعيش من عمله ويتعامل مع الإذاعة والتلفزة.

5 - لقد زرت كل البلدان العربية من الجزائر إلى العراق، وزرت روما لمدة يوم واحد بالنسبة لكتبي المفضلة أقول أنها لم تقرأ بعد.

6 - إن تكويني كان عربيا ومستواي بالفرنسية ضعيف.

ب - النشاطات الأدبية الشخصية:

7 - منذ 1965 وأنا مكلف باعداد البرنامج الأسبوعي للاذاعة الوطنية تحت عنوان: «صفحات الأثير»، وأحرر أيضا صفحتين موجهتين للأطفال في المجاهد الثقافي الأسبوعي تحت عنوان المجاهد الصغير وبالاضافة إلى ذلك أكتب شعرا ونثرا في المجلات مثل المجاهد الثقافي، القبس، آمال، وفي المجاهد الأسبوعي، ففي سنة 1967م طبعت كتابا يشمل عدة قصائد تحت عنوان: «أوراق» وقريبا سيصدر كتاب آخر عنوانه: «ظلال وأصداء» و«ربيع الجريح» وهناك أشعار أخرى لم أجمعها بعد.

بالنسبة للآداب المحبّبة عندي، أجد الأدب الثوري الذي يعبر عن واقع المجتمع.

8 - بالنسبة للغة أفضل الفصحى عن العامية وذلك لسلاسلتها وقوتها على التعبير والايصال.

9 - معرفتي للآداب الأجنبية تقتصر عامة على ما قرأته مترجما إلى العربية حسب امكانياتي.

10 - ان استمرار الكتاب مزدويجي اللغة في الجزائر تبقى حسب وجود طلاب وقراء باللغتين أو أكثر وأعتقد أن العربية تستمر في المستقبل.

- مسائل أدبية عامة:

11 - بالنسبة للقصة سواء القصيرة أم الطويلة لم تنضج أو بعبارة أخرى لم تصل إلى الكمال بعد مثل ما وصلتا إليه في العالم الغربي لكن نستطيع القول بأنها تنمو وتتطور بسرعة نحو الكمال. لقد نشأت وظهرت إلى الوجود في الربعينات على يد بعض الكتاب مثل محمود تيمور من مصر واليوم نعرف بعض الوجوه اللامعة في ميدان الرواية مثل عبد القدوس السباعي وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، وهاني الراهب، وزكرياء تامر وغيره.

12 - بالنسبة للقارئ الجزائري عامة أنه في طريق التكوين.

13 - يوجد نشاط أدبي مكثف في بلادنا، لكن امكانيات الطبع والنشر قليلة جدا.

14 - أعتقد أن هناك مشكلات بين الفصحى والعامية تحتاج إلى حلول. الواقع أن نسبة الأمية ما زالت مرتفعة وهذا هو المشكل الحقيقي، والحل لهذه المشكلة هو إنشاء المدارس وتكثيف العمل.

15 - إن اللغة العربية هي لكل الشعوب العربية الناطقين بها وهذه ليست مجرد وجهة نظر بل الواقع بأنها مستعملة في كل البلدان العربية من الخليج إلى المغرب الأقصى وليست وليدة العهد بل منذ قرون ...

16 - بالنسبة للسؤال حول الاختلاف في اللهجات فإن هذه الظاهرة ليست محصورة في بقعة محدودة بل في كل البلدان ووجود هذا الاختلاف يثبته التاريخ، ونستطيع في ظرف زمن قصير وذلك بفضل تقدم العلوم وتقارب المجمعات السكنية بعضها ببعض، هذا التقارب الذي سيؤدي بالضرورة إلى التقارب في الأفكار.

د - ملاحظات عامة:

أتأسف بأن أجوبتي عن الأسئلة التي طرحتموها علي مقتضبة لأن الوقت ضيق والأعمال كثيرة وسأرسل لكم بعضا من قصائدي وكتاب أوراق.

معلومات خاصة:

1 - أنا محمد الأخضر عبد القادر السائحي ولدت بضيعة تقع في الجنوب الغربي من الجزائر تابعة لولاية تقرت.

2 - اسمي الكامل محمد الأخضر بن عبد القادر السائحي وهو مطابق تماما لاسم الشاعر الأكبر ولهذا السبب أضفت اسم والدي عبد القادر إلى لقبي االعائلي، وأظن أن الزميل خمار قد أشار إلى هذا في مراسلته لكم.

3 - لقد درست بالمدارس القرآنية الموجودة بضيعتي وبعد دخلت جامع الزيتونة بتونس وكان ذلك في شهر أكتوبر من عام 1949م وبقيت بها حتى حصلت على شهادة تعادل البكالوريا سنة 1956م وبعدها انقطعت عن الدراسة بسبب أحداث الثورة، وبعد استرجاع الإستقلال دخلت الجامعة الجزائرية حيث درست الأدب العربي وحصلت على شهادة ليسانس في الأدب العربي سنة 1969م وفي نفس السنة سجلت ما يسمى بالدرجة الثالثة التي عنوانها: «الأمثال الشعبية بالجنوب الجزائري» ونفس الموضوع أعالجه الآن وقد شاركت بكتاباتي تقريبا في كل النشريات والصحف الجزائرية، كما شاركت في حلقات ثقافية في الاذاعة الوطنية وانجزت أبحاثا للشباب، وهذا المركز الذي

اشتغل به التابع للشباب نتمنى أن يكون نموذجا للعالم العربي والتعاون مع الأمم المتحدة.

4 - إن هذا السؤال يفسر حسب فهم كل واحد، وذلك إذا أنا تخصصت في الميداني الأدبي فقط معنى ذلك أنني أعتقد بأنه الوسيلة التي تمكنني من العيش.

5 - تهمني كل الأعمال والدراسات التي لها علاقة بموضوع رسالتي السالفة الذكر حتى الآن سافرت إلى المغرب الذي دخلته لأول مرة سنة 1969م في جولة ثقافية مرافقا لفرقة من الشباب الجزائري والتونسي والليبي، أما بالنسبة لتونس فقد سبق وأن ذكرت بأنني درست بها من سنة 1949م إلى 1959م أثناء الثورة زرت القاهرة ثم الخرطوم ومدينة جوبة الجنوبية للاطلاع على المصادر بتلك البلاد.

6 - لغتي الأولى طبعا هي العربية، ولي معرفة لا بأس بها للغة الفرنسية التي أقرأ بها وأتكلم بها أيضا.

ب - النشاطات الثقافية الخاصة:

7 - أكتب الشعر خاصة ولي محاولات في القصة القصيرة لكن بقليل من الاهتمام، أشعاري مجسدة في كتابي: «ألوان من الجزائر» بالاضافة إلى ذلك لي ديوانان تحت النشر «الكهوف المضيئة».

8 - لا أستعمل اللغة العامية اعتقادا مني بأنها غير لائقة ولا مؤهلة للكتابة بها وإن كان أنه يمكن استعمالها في بعض الحوار داخل الرواية.

9 - اليوم يجب أن يخرج الكاتب الجزائري من فضائه المحدود إلى فضاء أوسع ليطلع على الآداب العالمية الأخرى سواء في كتاباتها بلغتها الأصل أم عن طريق الترجمة، أما علاقتي أنا تتجه خاصة نحو الرواية حكاية قصة وانطلق من الأدب الصيني والسلافي والأدب الفرنسي ثم الاسباني.

10 - وحسب الحاجة دائما فإن الكاتب سيتعرف على آداب أخرى، وأظن أن الكاتب نادرا ما ينتج انتاجا جيدا باللغتين.

ج - موضوعات أدبية عامة:

11 - الفرق بين القصة القصيرة والطويلة تختلف من بلد إلى آخر، ففي الجزائر ركزت دار النشر مع نهاية الخمسينات على نشر القصة القصيرة على وجه الخصوص.

12 - في الجزائر توجد مشكلة لها علاقة بالمصلحة الوطنية، وذلك للدعاية الاقتصادية والاجتماعية التي تؤثر في ميولات وأولويات الجمهور، يجب أن نضع في الاعتبار بأن الأكثرية من الشعب أمي كما أن جمهور القراء قليل جدا الآن.

13 - بالنسبة للاجابة السابقة التي تقلل من المشكلة الرئيسية التي تعترض الكتاب الذين بدؤا العمل وسيثبتون وجودهم في الحياة الأدبية يجب أن نكون متفائلين قبل كل شيء إذا ظهر في المستقبل روائيون وشعراء شباب لهم اعتبارهم.

14 - فيما يخص نشاط دور النشر الجزائرية توجد الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (S.N.E.D) التي بدأت تكسب خبرة لمواجهة المشكلات التي تعترضها نحن متفائلون بمستقبل زاهر.

15 - فيما يخص مسألة العربية الفصحى والعامية، أظن أن هذه الأخيرة لا يمكنها أن تتعدى التخاطب بين العامة.

16 - إن اللغة الفصحى بالنسبة للعالم العربي هي لغة كل الشعوب العربية، ففي سؤالك هل لها صلة بالزمن والمراهنة على مكافحة اللهجات العامية لتتوحد عبر مراحل زمنية، وأن هذه المراحل لا بد أن تحدد بدقة.

ملاحظات:

أتمنى أن هذه السطور القليلة حول الأدب الجزائري تكون نافعة في جانب من الجوانب، وبودي أن أشكركم جزيل الشكر على موضوعنا هذا، معبرا عن امتناني لهذا التعاون الذي هو في صالح الثقافة والفكر.

D. FRENANDO DE AGREDA, BURILLO, "ENCUESTA A LOS ESCRITORES ARGELINOS MESCELANEA DE ESTUDIOS ARABES, VOL, 45, ANO 1996

إن الأستاذ «فرناندو دي اغيرده» D. FERNANDO DE AGREDA من الأساتذة البارزين الذين تفرغوا إلى البحث العلمي، وهو يعمل في المعهد العالمي للثقافة - القسم العربي الإسلامي - وكان فيما مضى يعمل باحثا في المعهد الاسباني العربي للثقافة، إذا فهو معروف في العالم العربي بأبحاثه العلمية ومحاضراته القيمة، وقد أدرك أن الكتاب الجزائريين المعبرين باللغة العربية هضم حقهم وتنكر البعض لمساهمتهم في الميدان الثقافي لأسباب يعرفها بعض القراء ويجهلها البعض الآخر وأدرك أيضا أن خريجي جامعات اسبانيا الذين ساهموا سواء خلال اقامتهم بأسبانيا أم ببلادهم في ربط الصلة بين الثقافة العربية المغربية وبين الثقافة الأسبانية المعاصرة، قد اسبل الستار عن أعمالهم ونشاطهم وأهملوا تماما، لا لذنب ارتكبوه ولا لخمول أصابهم وإنما ذنبهم الوحيد هو رفضهم للعبور على جسور يرون أنها غير آمنة ولا أمينة أيضا، فهم يفضلون الترجمة من الاسبانية إلى العربية أم العكس أقصر طريق وأقرب إلى الواقع، وأحسن وسيلة للتبادل الثقافي النزيه الذي لا نشم فيه رائحة العبودية ولا التبعية! ولقد كنت متأسفا لذلك حيث كنت أقرأ عن البعض ... ممن يستدعونهم من بلدان غير الجزائر ليلقوا محاضرات بلغة غير الاسبانية وغير العربية عن كتابات وكتاب لا يمثلون الجزائر ولا كتابها.

ولكن الذي جعلني أتفاءل أكثر من أي وقت هو هذا المقال الذي أرسله لي صديقي الأستاذ اغريدة وما قرأته عن نشاط أستاذي الكريم «بدرو مارتنث موتنابث، الذي أنجز الكثير من الأعمال القيمة ونوه بالكتاب الجزائريين، كما أنني أشكر جميع زملائي وزميلاتي الأساتذة الأسبان - خاصة منهم الشباب الذين أنجزوا أعمالا ذات قيمة علمية عن الأدب الجزائري المعاصر مثل الأستاذة «كارمن غومث» و«مرثدس ديل آمو» والأستاذة «كريداد» والأستاذة «بياتريس» والأستاذ «كرملو» والشيخ «خورخي» وغيرهم من الأدباء الشباب الاسباني المتحمس لدفع عجلة التبادل الثقافي بين العالم العربي عامة والجزائر على وجه الخصوص.

أما ملاحظاتي حول ما كتبه الأستاذ «فرناندو دي اغريده» فهي كالآتي:

ان الأستاذ أراد أن يعرف القارئ برواد الشعر الجزائري المعاصر، وأن ينبهه بأن الجزائر كانت ولا تزال عربية لها كتابها المعبرون عن أفراحها وأقراحها، رافضين كل هيمنة ثقافية أم اقتصادية، مستعدين للدفاع عنها بالسلاح والكلمة وقد سبق وأن دفعوا الثمن غاليا لكنهم ربحوا المعركة ولذا نراه يبدأ بالشيخ محمد العيد آل خليفة رحمه الله الذي عانى الكثير من أجل بلاده ومن أجل لغته ومن أجل تعريف الكتاب الأجانب بأن الجزائر لها كتابها وشعراؤها المعبرون بلغتهم عن أصالتهم ومساهماتهم في الثقافة وقد اتبع الأستاذ «اغريدة» أسلوبا علميا مزج بين التحقيق الصحافي وأسلوب كتاب المعاجم، ويبدو ذلك من عنوان المقال، كما أنه كان نزيها وواضحا في طرح أسئلته التي لا يستطيع بعض الكتاب الجزائريين طرحها نظرا للحساسيات والهيمنة.

- أسلوب صحفي، لأنه كان يطرح سؤالا محددا ويطلب الاجابة عنه بدقة ووضوح، وهذا الأسلوب علمي محبذ عند النزهاء، لأنه لا يضيف أشياء من عنده، كما لا يعتمد على الاديولوجيات والأحكام المسبقة قد اعتمد على طرح الأسئلة كتابيا وطلب من شخصياته الرد كتابيا أيضا.

أما عن أنه سلك طريق المعاجم، إن أصحاب المعاجم عامة والأندلسيين على وجه الخصوص تركوا لنا كنزا لا يفنى مبنيا على منهجية علمية ولعلى رائدهم في هذا النهج هو الأستاذ أبو القاسم خلف ابن شكوال صاحب الصلة والذي تتملذ عنه بطريقة غير مباشرة العملاق ابن الابار البلنسي صاحب التكملة ومعجم شيوخ الصفدي فلا غرو أن يتبع الأستاذ اغريدة هذا الأسلوب حيث يعطينا اسم ولقب الكاتب والمكان والتاريخ الذي ازداد فيه ثم دراسة مرحلة بمرحلة حتى نهاية الدراسة ويسأله عن أسفاره والمدن التي زارها ثم يسأل الكاتب عن انتاجه شعرا ونثرا، وما نشر منه وما لم ينشر، وبعد كل هذا يسأل الكاتب عن دور النشر والمشكلات التي يعاني منها الكاتب، وبعد كل ذلك يسأله عن اللغات التي يحسنها، وأيهما يفضل وهل مزدوجو اللغة يفيد أم لا. وهل العامية تكون لها مكانة يوم ما في الساحة الأدبية؟ ويسأل الكاتب عن الأنواع الأدبية مثل القصة القصيرة والرواية، وهل لها روادها في الجزائر ومتى نشأ هذا الفن؟

غير أننا عند ترجمتنا لما كتبه الأستاذ أغريدة لاحظنا بعض الملاحظات التي كان من المفروض أن ينتبه لها الأستاذ اغريدة والكتاب الذين أجابوا عن الأسئلة، ليكتمل البحث فمثلا لو سأل عن أساتذة الكتاب الثلاثة في كل مرحلة من مراحل التعليم، كما أنه لم يوجه لهم أسئلة عن طلابهم والمتأثرين بهم، والشعراء الشباب الذين نسجوا وينسجون على منوالهم.

ومهما كانت هذه الملاحظات فإنها لا تنقص من جهد الأستاذ اغريدة وهو عندي معذور لأن الأسئلة كانت عن طريق المراسلة وبذلك قد يكون البعض من الكتاب الذين وجه لهم الأسئلة لم يفهموا جيدا أسئلته وخاصة الشيخ محمد العيد آل خليفة رحمه الله الذي كان في سن متقدمة.

رغم كل هذا فالأستاذ اغريدة يشكر على هذه الالتفاتة القيمة التي ستكون حافزا ودافعا للشباب سواء الجزائري أم الاسباني لتبادل ثقافي مثمر.

الهوامش:

(1) - Veose, Introduction a la literatura arabe moderna MADRID 1975.

(2) - لقد بحثنا عن هذا البيت في ديوان الشاعر فلم نعثر على السبب، فحاولنا أن نترجمها لما جاءت في الاسبانية.